شرح
مدخل لعلوم القرآن

الشيخ العلامة

أحمد بن عمر سالم بازمول

حفظه الله تعالى

ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ لِلّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

إِنَّ أصدق الْكَلَام كَلَام الله وَخَيْرَ الهُدى هدى مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أمّا بعد :

فنبدأ - إن شاء الله تعالى - ما يتعلق **بعلوم القرآن** ، وسيكون اللقاء - بإذن الله تعالى - في مدارسة **" نزول القرآن "** .

اتفق جمهور أهل العلم أن القرآن تميز عن الكتب السابقة بنوعين من النزول :

- **الأول :** نزول القرآن جملةً واحدةً إلى بيت العزة في السماء الدنيا .

- **والثاني :** نزول القرآن مفرقًا ؛ يعني لم ينزل جملةً واحدةً على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، - بل كان ينزل القرآن - أو نزل القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل خلال أو في فترة ثلاثا وعشرين سنة ؛ وهذا معنى قولهم : **" مُنجَّمًا "** - أي مفرقًا - لأن العرب كانت تحسب الأوقات على النجوم .

والدليل على نزول القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في بيت العزة قوله تعالى : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ**

مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر : ١] ، وقوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[الدخان : 3] .

فهذا نزول القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - في رمضان ، وظاهر الآيات أنه نزل كاملًا فدلّ على نزوله إلى بيت العزة في السماء الدنيا .

قال ابن عباس -رضي الله عنهما - : **" أُنزل القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة "** [1] ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾[الفرقان : 33] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا** ﴾[الإسراء : 106] ؛ فهذا الأثر عن ابن عباس واضح الدِلالة في أن القرآن نزل جملةً واحدة - يعني كاملًا - إلى سماء الدنيا في ليلة القدر في رمضان ، وهذا يفسر ما سبق من الآيات .

وقوله : **" ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة "** هنا يأتي سؤال :

النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بمكة ثلاثة عشر سنةوكان بالمدينة عشر سنين فكيف يأتي في الرواية عشرين سنة ؟!

أقول : هذا على عادة العرب أنها كانت لا تحسب الكسور والأعداد بين العددين ؛ فإذا كان العدد قريبًا من عشرين ؛ واحد وعشرين ، اثنين وعشرين ، ثلاثة وعشرين قالوا : عشرين ، وإذا كان العدد قريبًا من الثلاثين قالوا :

---

[1]) تفسير الطبري (115/15) .

ثلاثين ؛ ولذلك ابن عباس قوله هنا -رضي الله عنهما - : **" في عشرين سنة "** ؛ أي في ثلاث وعشرين سنة .

أيضًا جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما - أنه قال : **" فُصل القرآن من الذكر فوُضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، فجعل جبريل - عليه السلام - ينزِّله على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويرتله ترتيلًا "** [2] ؛ ومعلوم أنّ هذا الكلام من ابن عباس -رضي الله عنهما – لا مجال للرأي فيه ؛ أي أنّ ابن عباس تلقّاه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وابن عباس -رضي الله عنهما - مَن هو في علم الكتاب **(اللَّهمَّ فقِّههُ في الدِّينِ ، وعلِّمهُ التَّأويلَ)** [3] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ [القدر : ١] ؛ يدل على نزوله جملةً واحدة إلى بيت العِزّة في السماء الدنيا كما ذكر ابن عباس في النزول الأول ، كذلك يَدلُّ أيضًا على ابتداء نزوله وأنّه في رمضان .

أَخرج **الإمام أحمد في " المُسند "** من حديث واثِلة بن الأَسْقَع -رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **(أُنزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ - عليه السَّلَامُ - في أَوَّلِ لَيلةٍ مِن رمضانَ ، وأُنزِلَتِ التَّوراةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِن رمضانَ ، والإنجيلُ لثلاثَ عَشْرةَ خَلَتْ مِن رمضانَ ، وأُنزِلَ الفُرقانُ** - يعني القرآن - **لأَرْبعٍ وعِشرينَ** - أي ليلةً - **خَلَتْ مِن رمضانَ)** [4].

وأمّا نزول القرآن مُفرَّقًا ، مُنجَّمًا على قلب النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

[2]) فضائل القرآن للنسائي (ص 70) .

[3]) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٦٦) ، وصحَّحه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٨٩) .

[4]) مسند أحمد (191/28) .

فهذا واضحٌ في الأدلة كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ** ﴾ [الإسراء : 106] ؛ أي لم نُنزِله جملةً واحدة عليك ، وهذا خطابٌ للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، يدلّ عليه أيضًا قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة : 97]

.

فقوله تعالى : ﴿ **نَزَّلَهُ** ﴾ ؛ هذا يدل على أنّ التنزيل كان لمراتٍ عديدة ، وليس لمرةٍ واحدة فدلَّ على نُزوله مُفرقا ، والآية السابقة : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا** ﴾ [الإسراء : 106] ، وفي قراءة أيضًا أخرى ﴿ **فَرَّقْنَاهُ** ﴾ ؛ أي أنزلناه آية آية سورة سورة ، بل في القرآن أن الله - عز وجل - حكى أن الكافرين قالوا :

﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾[الفرقان : 32] ؛ أي كما كان ينزل على الأنبياء من قبل - يعني موسى و عيسى - عليهم الصلاة والسلام - وغيرهما - ، المعروف المشهور عندهم - عند العرب كفار مكة - أن التوراة والإنجيل وغيرها نزلت جملةً واحدة - يعني كاملة مرة واحدة - ، قال الله - عز وجل - مبينا سبب تفريق القرآن - وهذا سيأتي إن شاء الله - : ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾[الفرقان : 32] .

فهذا واضحٌ جدًّا في أن القرآن نزل مفرقًا على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، و هذا النوع من النزول - يعني - يختلف عن النزول على الأنبياء من قبله - عليهم الصلاة والسلام - ؛ وهنا يأتي **السؤال : لماذا نزل القرآن مفرقًا على النبي - صلى الله عليه وسلم - في أكثر من عشرين سنة ؛ في ثلاث**

وعشرين سنة ؟

والجواب : من وجوه ، نزل القرآن مفرقًا لعدة أسباب :

- الأول : تثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ أي تثبيت قلبه ، وهذا كما في الآية السابقة : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾[الفرقان : 32] ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - مر بأحداثٍ قوية وظروفٍ صعبة وعِداءٍ شديد ، كما قال له ورقة بن نوفل : **(لَيْتَنِي كنتُ جَذَعًا حين يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، قالَ : أوَ مُخرِجِيَّ هُمْ ؟ قالَ : إنَّهُ لَم يَأْتِ أحَدٌّ بمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إلَّا عُودِيَ)** [5] .

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - تلقى الشدائد وواجه المصائب والصعاب في سبيل دعوته إلى الله - عز وجل - وهذا يجعلنا نذكر أنفسنا بأمور :

- الأمر الأول : أن الواحد إذا ابتلي في دعوته للحق لا لنفسه عليه أن يصبر ويحتسب .

- الأمر الثاني : إذا كان هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أُوذي وعُودي وصبر - عليه الصلاة والسلام - ، والله قادرٌ أن ينصره وأن يهلك الكافرين بكن فيكون في لحظة ؛ ولكن الله - عز وجل - ثبت فؤاده بنزول القرآن وثبته على الحق وصبر - صلى الله عليه وسلم - .

- وأيضًا : يذكرنا هذا بأمرٍ مهمٍ عظيم لنا جميعًا أيها المؤمنون المسلمون ؛ أن نحافظ على ديننا وأن نتمسك بسنة نبينا ، فقد واجه - صلى الله عليه

---

[5]) (... لَيْتَنِي كنت جَذَعًا ، حين يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، قالَ : أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ، قالَ : إنه لم يَأْتِ أحد بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ ...) أخرجه البخاري (3) ، ومسلم (160) .

وسلم - العديد من المصاعب والمتاعب وأُوذي وطُرد وأُخرج من ديارِه ورُمي بالحجارة وجُرح - صلى الله عليه وسلم - ، هذا كله يجعلنا - ونحن نحبه - عليه الصلاة والسلام - - يجعلنا نتمسك بدينه نتمسك بسنته نحرص عليه - عليه الصلاة والسلام - ونحرص على سنته وندعو إلى سنته ، وهو علمنا أن نكون في سنته على منهج الصحابة -رضوان الله عليهم - ، فنتمسك بمنهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين - من الصحابة ، - فيعني - هذا كله يجعلنا نستشعر هذه الأمور التي تجعلنا نقف أمام صبره - عليه الصلاة والسلام - ، وأمام ما تعرض له من أذية - عليه الصلاة والسلام - متدبرين متذكرين .

وهذا أيضًا فيه فائدة أخرى : أن الذي يُبتلى ويريد أن يُفرَّج همه وأن - يعني - يصبر يقرأ القرآن ، يشتغل بقراءة القرآن ، ما يروح يشغل أغاني ، ولا يروح يشرب خمر ، ولا يروح يضيع أوقاته يمين شمال - لا !!

يشتغل بقراءة القرآن يشتغل بكلام ربنا ، فيناجي الله - عز وجل - فيطمئن قلبه بذكر الله - عزّ وجل - ؛ ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[الرعد : 28] ، القرآن عظيم - القرآن عظيم - فيه تفريج الكروب لقارئه وتاليه والعامل به ؛ فلذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل القرآن مفرقًا ليثبت الله - عزّ وجل - بذلك فؤاده وقلبه فيصبر

- ومنها أيضًا : الإجابة على الأسئلة التي - يعني - تأتيه - عليه الصلاة والسلام - وما يكون في نزول القرآن من ردٍّ لشبه الكافرين - كما مر معنا - : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ** ﴾[الفرقان :

32] ؛ هذا رد فينزل مفرقًا ردًّا على كلام الكافرين ، يقول الله - عز وجل - : ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾[الفرقان : 33] ؛ أي لا يأتي الكافرون بشبهة وافتراءٍ يريدون أن يصدوا عن سبيل الله - عز وجل - إلا جاءهم الرد بالحق صارمًا قاطعًا لباطلهم .

- **كذلك نزل مفرقًا :** أن الله - عز وجل - كان يكشف حال المنافقين المستهزئين بدين الله الذين يقولون في الظاهر شيئًا وفي الباطن شيئًا ، فكان الله - عزّ وجل - يفضحهم ويفضح جلساتهم السريَّة الخفيَّة ؛ يقول الله - عز وجل - : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾[البقرة : 14] ؛ فهذا من أسباب نزول القرآن مفرقًا .

- **كذلك من أسباب نزول القرآن مفرقًا :** ما نزل بشأنه القرآن في بيان الحوادث والقصص والأمور التي تحصل فينزل القرآن في بيانها - كما في غزوة بدر وأُحد وغيرها ، فيأتي الوحي إلى النبي - ﷺ - في ذلك .

- **كذلك من أسباب نزول القرآن مفرقًا :** الحكمة في التشريع من جهة التدرج ، فالخمر مثلًا في البداية لم يُحرَّم ، ثم نُبه على أنَّه يصد عن ذكر الله ، ثم نُبه على أن إثمه أكبر من نفعه ، ثم نُهي عن قرب الصلاة وهم سكارى إلى أن نزل تحريمُ الخمرِ ؛ فهذا فيه التدرج في التشريع الإسلامي ، ولذلك - وهذا سيأتينا إن شاء الله - مبحث في **علوم القرآن** - معرفة الناسخ من المنسوخ في القرآن ، وهذا مبحثٌ مهم كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - في حينه ، إذًا ؛ من الأسباب : **الحكمة في تشريع القرآن** .

- **كذلك من الأسباب التي تُستنبط من نزول القرآن مفرقًا قضية مهمة :** وهي أن القرآن كلام الله معجزٌ ليس من كلام النبي - ﷺ - ، وذلك من وجوه :

- **الوجه الأول :** أن القرآن مُحكَم من أوله إلى آخره ليس فيه تناقض ، وعادة الناس جرت أن الإنسان الذي يتكلم كلامًا كثيرًا ويكتب كتابات كثيرة قد ينسى ما قاله سَابقا فيأتي بما يخالفه ويعارضه ، فلو كان القرآن من عند الرسول- صلى الله عليه وسلم- لتناقض الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما جاء به للناس ؛ ولكن القرآن محكَم ، فدل على أنه تنزيلٌ من رب العالمين .

- **كذلك وجهٌ آخر :** أن القرآن من أوله إلى آخره ليس فيه ضعف من ناحية اللغة ومن ناحية المعنى ؛ وذلك أن عادة الناس جرت أن الإنسان أول ما يكتب يختلف عن ما يكتبه بعد سنة وسنتين أو عشرة أو عشرين أو ثلاثين ، أو أول ما يتكلم يختلف أسلوبه في الكلام في البداية عن الوسط عن النهاية ؛ لأنه يتعلم ويتطور ووو ...إلخ ، بينما القرآن أول ما نزل وآخر ما نزل في القوة والمتانة والبلاغة والفصاحة والإعجاز في غاية ما يكون ، فدل هذا على أن القرآن ليس من وضع البشر بل هو كلام الله - عز وجل - ، يقول الله - عز وجل - : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾** [النساء : 82] .

إذًا ؛ بهذا نكون قد عرفنا مسألة نزول القرآن جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ومسألة نزول القرآن منجَّمًا على

قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وإن شاء الله في اللقاء القادم نأخذ ما يتعلق بمسألة تتعلق بنزول القرآن - ما يتعلق بأول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن ، فمعرفة هذا الأمر مبحثٌ من مباحث **علوم القرآن** سنقف مع هذا المبحث - إن شاء الله - في اللقاء القادم ؛ لأن هناك - يعني - بعض الروايات حصل فيها في الظاهر نوع اختلاف وهذا - إن شاء الله - أيضًا يأتينا في مادة **" مختلف الحديث "** .

رواية تقول : إن أول ما أنزل ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ ١ ﴾** ﴾[العلق : 1] ، وخمسة الآيات الأولى من سورة **" العلق "** ، ورواية تقول : إن أول ما أنزل ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾** ﴾[المدثر : 1] ؛ فهاتان الروايتان صحيحتان ، فسنبين أنه لا تعارض بين النزولين ؛ فأول ما أُنزل على الحقيقة ولم يسبقه نزول ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ ١ ﴾** ، و﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾** ﴾ ؛ هي أول ما أنزل بعد انقطاع وتأخر نزول الوحي لفترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، أبطأ جبريل النزول فكان أول ما أُنزل بعد ذلك التأخر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ 1 ﴾**.

فإن شاء الله سيأتينا هذا الجمع وما يتعلق به ؛ ولكن لا أريد أن أكثر عليكم في اللقاءات وفي المدارسات حتى يحفظ طلاب وطالبات العلم ما سبقت مدارسته .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .